

الحلقة السابعة والأربعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق بمثلين عن الغضب ونتائجه على الإنسان، وماذا يحصل عندما يضبط المرء نفسه أثناء الغضب. ثم تأملنا بما تحدّث به الرسولان يعقوب وبولس عن هذا الموضوع وأهمية مسامحة الأعداء وعدم الانتقام منهم.

إذا رأيت حادثة ما مستمعي هل تنقل بصدق وأمانة ما حدث؟ أم أنك تحاول إخفاء بعض الحقائق لاسيما إذا كانت متعلقة بقريب لك أو صديق؟ إن نقل الوقائع كما حدثت هو أمر مطلوب منّا لكي نكون شهود أمناء. بينما عندما نشوّه الحقائق نكون شهود زور. كتب سليمان الحكيم حول هذا الموضوع عدة أمثال وفي دراستنا اليوم سنتأمل ببعض منها. يقول المثل الأول: "شاهد الزور لا يتبرأ والمتكلم بالكاذب لا ينجو". وفي مثل آخر مشابه له في نفس الفصل نقرأ: "شاهد الزور لا يتبرأ والمتكلم بالكاذب يهلك". (أمثال ١٩: ٥، ٩)

نلاحظ التشابه الكامل بين هذين المثلين، لكن النتيجة مختلفة قليلاً. فبينما يقول المثل الأول أن المتكلم بالكاذب لا ينجو، يؤكد المثل الثاني أنه سيهلك. إن عدم قول الحقيقة في الشهادة، وبمعنى آخر التكلم بالكذب، ستكون عواقبه وخيمة على الإنسان، وقد يؤدي به إلى الهلاك. هل تعلم مستمعي أن شهادة الزور أو الشهادة الكاذبة لا بد أن تؤذي الآخرين؟ فكم من إنسان بريء حكم عليه خطأ بسبب شهادة زور كاذبة، ففضى عمره في السجن، أو حتى حكم عليه بالموت. بينما المجرم الحقيقي بقي خارج العدالة.

وفي مثل ثالث تحدث سليمان الحكيم عن الشاهد الشرير فقال: "الشاهد اللئيم يستهزئ بالحقّ وفم الأشرار يبلغ الإثم". (أمثال ٢٨: ١٩) هنا يكشف لنا المثل عن حقيقة شاهد الزور فهو شاهد شرير لئيم، لا يكثرث بكشف الحقيقة، وهدفه هو إخفاء المجرم وبلغ الإثم. من المهم جداً إذن أن نشهد بحقيقة ما جرى، وإلا كنا شهود زور وكذبة. فهل هذا ما تريده لنفسك يا صديقي؟ أو ليس الأفضل أن تقول الحقيقة ولو على حساب راحتك؟ أو لكي تجنّب نفسك المتاعب كما قد تظن؟ وهل تسعى مستمعي لتكون شاهداً صادقاً عندما يُطلب منك؟

هل تعلم مستمعي أن رؤساء الكهنة اليهود أتوا بشهود زور كثيرين لكي يحكموا على المخلص المسيح بالموت؟ لكن الذي حصل كما تخبرنا البشائر الأربع أن شهود الزور هؤلاء لم تتفق شهاداتهم مع بعضها البعض، فلم تثبت. أي انكشف كذبهم أمام الجميع. وأخيراً أتوا بشاهدي زور ادّعوا أن المسيح قال أنه سينقض الهيكل في أورشليم، وسيبني هيكلاً آخر مكانه في ثلاثة أيام. لكن المخلص المسيح لم يجب عن هذه التهمة الباطلة. لأن قصده كان أنه سينقض هيكل جسده ويقيمه. أي أنه كان يتحدث عن موته الكفاري وقيامته المجيدة.

وعندما سأل رئيس الكهنة المخلص يسوع المسيح قائلاً: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون. فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت". (بشارة متى ٢٦: ٦٣-٦٦) يبدو واضحاً أن رئيس الكهنة لم يعد بحاجة إلى شهود زور بعد تصريح المسيح هذا. أما المخلص المسيح فقد أعلن وبكل جلاء أنه هو المسيح المنتظر الموعود به في العهد القديم. وأنه هو ابن الإنسان المنتبأ عنه، والذي عند قيامته الظاهرة سيصعد إلى السماء ويجلس عن يمين الله في مركز القوة والسلطان. ولهذا أعتبر تصريحه هذا تجديفاً ويستحق الموت عليه.

وفي موضوع له علاقة بشهادة الزور، تحدّث سليمان الحكيم في مثلين آخرين عن الرشوة ونتائجها المدمرة على القضاء. فكتب في المثل الأول قائلاً: "كثيرون يستعطفون وجه الشريف وكل صاحب لذي العطايا". (أمثال ١٩: ٦) وفي المثل الثاني كتب قائلاً: "هدية الإنسان تُرحّب له وتهديه إلى أمام العظماء". (أمثال ١٨: ١٦) إن محاولة استعطف الشريف أو رجل القضاء، لكي يخفي الحقيقة أو لنحقق أهدافنا غير السليمة، هو أمر معوج وغير صحيح.

كما أن إغداق الهدايا لرجال السلطة والقضاء يعتبر رشوة لهم، لكي نربح تقّتهم ونستطيع بالتالي تمرير بعض الأمور غير القانونية التي نريد أن نسلّك بها. أليست هذه هي أهم المشاكل التي تواجهها معظم المجتمعات في عصرنا الحاضر ألا وهي مشكلة الفساد الناتج عن الرشوة؟ وكم من موظف أو وزير أو رجل سلطة قد أُدين بتهمة الفساد والرشوة، وكانت النتيجة أنه لم يخسر وظيفته أو مركزه فحسب، بل قضى نهاية عمره في السجن. إن الرشوة هي أمر غير صحيح إن كان بالنسبة لمقدمها أو للذي يقبلها.

لقد نبّه الله الشعب قديماً على خطورة الرشوة فأمرهم قائلاً: "لا تحرّف القضاء ولا تنظر إلى الوجوه ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تُعمي أعين الحكماء وتعوّج كلام الصديقين". (تثنية ١٦: ١٩) إن الرشوة إذن تُعمي أعين الحكماء، و تحرّف القضاء، وتجعل الصديقين يعوّجون كلامهم. وهذا ما يتأكد ويتضح بكل جلاء في كل المجتمعات، فعندما يلجأ الإنسان إلى الرشوة، يبدأ الفساد ينخر في المجتمع. وتكون النتيجة وبالأعلى على المجتمع وتقدمه. وهذا ما يؤكد صحة وصية الله التي أعطاها للشعب قديماً منذ آلاف السنين.

مستمعي الكريم، لقد كشفنا في لقاء اليوم عن موضوعين مهمين هما شهادة الزور والرشوة. وتبين لنا مدى خطورتها. لكن كيف بنا نحفظ أنفسنا من الوقوع في هذين الأمرين أم أحدهما؟ للجواب نقول: إن ما يحفظنا هو الاقتراب لله تعالى عن طريق المخلص المسيح. إن الإيمان بالمخلص المسيح سيحررنا من عبودية الخطيئة، وسيجعلنا خليقة روحية جديدة، تستطيع أن تسلك في طريق الصلاح والخير. وهكذا نستطيع عندها أن نكون صادقين في كلامنا وشهادتنا، وأن نبتعد عن كل أعمال الشر والإثم. فهل تراك تؤمن مستمعي بالمخلص المسيح؟